ذات الأفنان في علوم القرآن

تأليف:
وليد بن إدريس المنيسي

الناشر
دار الجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ مـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الهداة أما بعد فيقول العبد الفقير أبو خالد وليد بن إدريس المنيسي عفا الله عنه : هذه رسالة مختصرة في علوم القرآن الكريم أسميتها (ذات الأفنان في علوم القرآن) سائلا الله تعالى أن ينفع بها ، فأما **تعريف علوم القرآن** بتعريف مفرديه فالعلوم جمع علم وهو ضد الجهل ومعناه في اللغة الفهم والمعرفة ومعناه في الاصطلاح إدراك الشيء على حقيقته، وهو مجموعة من المسائل والأصول الكلية تجمعها جهة واحدة **وتعريف القرآن لغة** قيل مشتق من قرى يقري قريا بمعنى ضم وقيل من قرأ يقرأ بمعنى تلا وقيل من قرن لأنه قرنت سوره وآياته بعضها ببعض، **وتعريف القرآن اصطلاحا** هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المنجّز المعجز المتواتر **وتعريف علوم القرآن باعتباره لقبا لعلم مخصوص** فهو علم يضم أبحاثا كلية تتصل بالقرآن الكريم، **وأما موضوع علوم القرآن** فهو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من جهة تنزيله وترتيله وتدوينه وتأويله وتدليله فأما علوم تنزيل القرآن فهي كيفية الوحي والمكي والمدني والحضري والسفري والليلي والنهاري وأسباب النزول وأول وآخر ما نزل وما نزل جملة ومنجما ومشيعا وغير مشيع ، وأما علوم ترتيله فالأحرف

السبعة والقراءات وطرق تحمل القرآن والتجويد والوقف والابتداء وآداب التلاوة وفضل حفظه وما يعين على حفظه وضبط متشابهه اللفظي وأما علوم تدوينه فجمعه وترتيب سوره وآياته وعلم المناسبات وعدد سوره وآياته وكلماته وحروفه وعلم رسم المصحف وأما علوم تأويله فلغاته ومحكمه ومتشابهه ومشتركه وعامه وخاصه وناسخه ومنسوخه ومجمله ومبينه ومطلقه ومقيده ومنطوقه ومفهومه وبلاغته وشروط المفسر وآدابه وطبقات المفسرين وأنواع التفسير وأمثال القرآن وأقسامه وأحكامه وقصصه ومبهماته وأما علوم تدليله فإعجازه ودلائل صدقه وهدايته وأثره

وأما ثمرة تعلم علوم القرآن فهو فهم القرآن الكريم فهما صحيحا وتدبره و الدفاع عنه ورد شبهات المغرضين حوله وبه يزداد المسلم تعظيما لكتاب الله تعالى وتعلقا به وتقديرا لجهود الأمة الإسلامية في العناية به **وأما فضل علوم القرآن** فهو أنها داخلة في قول النبي صلى الله عليه وسلم:
((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) فهي من أسباب الخيرية فهو علم شريف لتعلقه بخير كلام وهو كلام الله سبحانه وتعالى.

وتسمى علوم القرآن أيضا أصول التفسير **وأما حكم تعلم علوم القرآن** فهو فرض من فروض الكفايات التي يجب أن يقوم بها طائفة من المسلمين فإذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين **وأما واضع علوم القرآن** فأول

من ألف في علوم القرآن هو الإمام محمد بن خلف المرزبان رحمه الله المتوفى سنة ٣٠٩ هـ واسم كتابه الحاوي في علوم القرآن ثم الإمام علي بن إبراهيم الحوفي المتوفى سنة ٣٣٠ هـ له كتاب اسمه البرهان في علوم القرآن نصفه مخطوط في دار الكتب المصرية في خمسة عشر مجلدا ثم الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ واسم كتابه فنون الأفنان في علوم القرآن ثم الإمام محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ واسم كتابه البرهان في علوم القرآن أيضا ثم الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ واسم كتابه الإتقان في علوم القرآن جمع فيه كل ما كتب قبله وزاد عليه ورتبه أحسن ترتيب وكل من كتب في علوم القرآن بعد السيوطي فهو عالة على كتابه ومن أحسن ما كتب في علوم القرآن بعد السيوطي كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ

وأما عدد علوم القرآن فذكر القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في كتاب قانون التأويل أن علوم القرآن ٧٧٤٥٠ علما أو هذا العدد مضروبا في أربعة فيكون ٣٠٩٨٠٠ وذلك لأن عدد كلمات القرآن عنده ٧٧٤٥٠ وكل كلمة تشتمل على أربعة علوم وقد ذهب غيره إلى أن عدد كلمات القرآن ٧٧٤٣٩ كلمة وهذا الفارق اليسير في العد سببه أن بعض الكلمات يحتمل عدها كلمة ويحتمل عدها كلمتين فقال :«علوم القرآن خمسون علما

وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع» واعتمد ابن العربي على ما ورد في حديث شديد الضعف لكل آية من آيات القرآن الكريم ظهر وبطن وحد ومطلع، والظهر هواللفظ أو التلاوة أو ما ظهر تفسيره والبطن هو المعنى أو ما بطن تفسيره، والحد لغة هو المنع فلكل كلمة حدٌ من حدود الله فهي تحد للمسلم حدا وتمنعه من تجاوزه أي فيها حكم من أحكام الله تعالى والمطلع هو المصعد أو الموضع الذي يطلع عليه بالترقي، فمطلع الظاهر التمرن في فنون العربية ومطلع الباطن تزكية النفس والعمل بمقتضى القرآن الكريم والراجح عدم صحة ذلك لأن كلمات القرآن الكريم تتكرر لغرض التذكير والإفادة ثم إن الكلمة بمجردها لا يستنبط منها علم كامل فضلا عن أربعة علوم وإنما يستنبط العلم من ضم كلمات بعضها إلى بعض وذكر الإمام الشافعي رحمه الله أن علوم القرآن ثلاثة وستون نوعا وقال بعض العلماء ومنهم ابن العربي : «إن أم علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام» وقال ابن جرير الطبري «توحيد وأخبار وديانات، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها تشتمل على التوحيد الذي هو أحد العلوم الثلاثة ».

تعريف الوحي الوحي لغة هو الإعلام ويأتي بمعنى الإعلام الخفي ويأتي بمعنى الإلهام كما في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} وكما

في قوله تعالى {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا} ، ويأتي الوحي لغة بمعنى وساوس الشياطين ويقيد حينئذ فيقال وحي الشيطان قال الله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}، وقال تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}

والوحي في الشرع إعلام الله سبحانه وتعالى لنبي من الأنبياء بالدين، **أنواع الوحي** جبريل عليه السلام هو المكلف من الله تعالى بتبليغ رسالات الله إلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وميكائيل عليه السلام أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه بأشياء لكن ليس هو المكلف بالوحي وتبليغ رسالة الله تعالى، فقد جاء في الحديث أن ميكائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((اسْتَزِدْهُ)) وذلك لما أنزل القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ((اسْتَزِدْهُ فَاسْتَزَدتُهُ فَأُنْزِلَ عَلَى حَرْفَينِ)) فقال لي ميكائيل: ((اسْتَزِدْهُ فَاسْتَزَدتُهُ)).

فالقرآن الكريم هو وحي الله إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام كما قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين} والروح الأمين هو جبريل عليه السلام.

ومجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم له أنواع **النوع الأول** أنه أحيانا يأتي في مثل صلصة الجرس أي له صوت عظيم مهيب مثل صوت قرع الجرس كما جاء في مسند أحمد في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ تُحِسُّ بِالْوَحْيِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَعَمْ ، أَسْمَعُ صَلَاصِلَ ، ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيضُ ".

فمجيء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة كان شديدا عليه، وجاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: كيف يأتيك الوحي؟ قال: ((أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا، أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيتُ مَا قَالَ)) يفصم عني يعني ينفصل عني بعد الانتهاء من الوحي قال الخطابي: «والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد». وقيل: إن صوت صلصلة الجرس هو صوت خفق أجنحة الملك، وهو أشد حالات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعض العلماء: إنما كان ينزل الوحي بهذه الكيفية الشديدة على النبي صلى الله عليه وسلم في آيات الوعيد ومن العلماء من قال في تعليل سبب شدة هذه الحالة على النبي صلى الله عليه وسلم أن الوحي هو اتصال الملك بالنبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى

الله عليه وسلم بشر والملك في حالة ملكية والبشر في حالة بشرية، وكل جنس من المخلوقات له مواصفاته التي خلقه الله عليها فلا بد لهذا الالتقاء من حصول نوع تغير في طبيعة طرف ليلائم الاتصال بالطرف الآخر، ففي صورة مجيء الوحي مثل صلصلة الجرس، يحصل شيء من التغير في طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يصبح في حالة تؤهله للتلقي عن الملك بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وكان يغشى على النبي صلى الله عليه وسلم، ويثقل جسده جدا حتى إنه إذا جاءه الوحي وهو على الناقة، تبرك الناقة في الأرض ولا تتحرك، ومرة كانت ركبته تمس فخذ زيد بن ثابت فجاءه الوحي، فقال زيد: «فخفت أن ترض فخذي» أي تنخلع من مكانها من ثقل رجل النبي صلى الله عليه وسلم وكان يتفصد جبينه عرقا أطيب من رائحة المسك، في اليوم الشديد البرد، فهذه مظاهر حسية للوحي في تلك الحالة الشديدة التي هي مجيء الملك في مثل صلصلة الجرس **النوع الثاني** عندما كان جبريل عليه السلام يأتي في صورة بشر فيكلمه وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه فهذه تكون سهلة على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الملك هو الذي يحصل له التغير في طبيعته بحيث يتشكل في صورة البشر فيكلمه بهذه الصورة فيكون ذلك سهلا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي في صورة رجل يحرك لسانه وشفتيه يردد خلف الملك

ما يوحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن ينسى شيئًا مما أوحي إليه حتى قال له ربه سبحانه وتعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به} قال ابن عباس: «وكان مما يحرك شفتيه» و(مما) هنا بمعنى ربما، أي كان ربما يحرك شفتيه أثناء تحديث الملك له، فكان يتعجل بالقراءة أثناء قراءة الملك عليه، فيكون مشغولا بالسماع من جهة وبالقراءة بلسانه وشفتيه من جهة أخرى حتى لا يُنسى، فقال الله تعالى له: {لا تحرك به لسانك لتعجل به} يعني لا تستعجل وتحرك لسانك أثناء الإيحاء إليك {إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه}.

قوله تعالى: {إن علينا جمعه وقرآنه} قال: يعني أن نجمعه لك في صدرك فلا يُنسى كما قال له ربه سبحانه وتعالى: {سنقرؤك فلا تنسى} فطمأنه الله تعالى أنه لن ينسى شيئا مما أوحي إليه، وتكفل الله تعالى بجمعه في صدر النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينسى فكان بعد ذلك لا يحرك شفتيه ولا لسانه أثناء الوحي، ثم بعد أن ينصرف الوحي يقرأ ما أنزل إليه فإذا به قد حفظه ولا يحتاج إلى الترديد والتكرير أثناء السماع، وهذه هي الصورة التي يتمثل له الملك رجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ)) يعني هذا أسهل أنواع الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.

النوع الثالث من أنواع الوحي أن يأتي الملك فيُنفَث في رُوع النبي صلى الله عليه وسلم نفثا والروع النفس والقلب فالنفث في الروع هو إلقاء مباشر

في قلبه ليس عن طريق التكليم والسماع بالأذن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَّا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ)) والنفث في الروع هو الإلهام، فيجد نفسه قد ألهم معنى من المعاني في صدره صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع أن يأتيه الوحي برؤيا منامية صادقة، فيرى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا، ورؤيا الأنبياء حق وهي صادقة من عند الله سبحانه وتعالى، ومن الرؤى أن يأتي جبريل فيكلم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقد تكون الرؤيا بإلهام من الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام بكيفيات أخرى بدون مجيء جبريل عليه السلام وجاء في الحديث «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة» وفي رواية: «الرؤيا الصادقة في المنام» وكانت مدة الوحي بالرؤيا ستة أشهر في أول الوحي لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح أي تتحقق تماما مثل ما رآها تمهيدا وتوطئة لمجيء الوحي بأنواعه الأخرى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ)) وذلك لأن فترة الرؤيا الصالحة كانت ستة أشهر، وفترة النبوة كانت ثلاثا وعشرين سنة، ونسبة ستة أشهر إلى ثلاث وعشرين سنة تساوي نسبة جزء إلى ستة وأربعين جزءا، يعني ستة أشهر

نصف إلى ثلاث وعشرين، يساوي واحدا إلى ستة وأربعين، واختلف العلماء هل نزل شيء من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال بعض العلماء إن سورة الكوثر أوحي بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم مناما، وذلك لأنه جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه : " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد ، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : " أنزلت علي آنفا سورة " ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) ثم قال : " أتدرون ما الكوثر ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : " فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتي . فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك " ..

فمن العلماء من فهم من الحديث أن سورة الكوثر أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مناما وعد ذلك نوعا من أنواع علوم القرآن المنامي، أو الفراشي، يعني ما أنزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أو وهو في فراشه صلى الله عليه وسلم، وذهب آخرون إلى أن الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام هو نهر الكوثر لا أن السورة أنزلت في المنام، فالبشارة بها، أوالبشارة بنهر الكوثر جاءت في المنام، ثم أنزلت

السورة في اليقظة، فالحديث ليس قطعي الدلالة في أن السورة أنزلت في المنام، ولكن ظاهره كذلك.

النوع الخامس من الوحي وهو أجلها تكليم الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب ودليله في سورة الشورى في قوله تعالى: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب} وحيا أي إلهاما، وقوله أو من وراء حجاب أي أن يكلم الله تعالى البشر من وراء حجاب، ، وقوله أو أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء الرسول هو جبريل عليه السلام.

فآية الشورى ذكر الله تعالى فيها ثلاثة أنواع: الإلهام في الصدر بدون واسطة جبريل، أو من وراء حجاب أن يكلم الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب مثلما ما كلم موسى {وكلم الله موسى تكليما} ومثلما نادى الله تعالى آدم وحواء {وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة} فهذا تكليم مباشر بدون واسطة الملك، أو يرسل رسولا وهذا النوع الثالث في الآية وجميع أنواع الوحي ترجع في النهاية إلى واحد من هذه الأنواع .

والتكليم من وراء حجاب، إما أن يكون في اليقظة كما حصل في ليلة الإسراء والمعراج، عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى، وصعد بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق سدرة المنتهى فوق السماء السابعة،

ثم كلمه الله سبحانه وتعالى مباشرة، يعني من وراء حجاب لأنه تعالى قال لموسى{ لن تراني} أي في الدنيا، ففي الدنيا لا يستطيع البشر أن يرى الله تعالى فكلم الله تعالى النبي في اليقظة عندما عرج به وفرض عليه خمس صلوات في اليوم والليلة، وكلمه الله تعالى أيضا من وراء حجاب في المنام، وهذا وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي – عز وجل – في أحسن صورة. فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب. فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، وتجلى لي كل شيء وعرفت. فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى، قلت: في الكفارات والدرجات. قال وما الكفارات؟ قلت نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء على الكريهات قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام. "

والمنام يعتبر حجابا من الحجب فقيل هو داخل في التكليم من وراء حجاب إذا اعتبرنا الوحي بالرؤيا الصادقة هو الأشهر الستة الأولى وقيل يندرج مع الوحي بالرؤيا صادقة فيعتبر نوعا من أنواع الرؤيا

واختلفوا هل أنزل شيء من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بالتكليم مباشرة بدون واسطة جبريل عليه السلام؟

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه مما أوحاه الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مباشرة من وراء حجاب خواتيم سورة البقرة، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة ، فآخر آيتين في سورة البقرة هي من تكليم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مباشرة بدون واسطة الملك من وراء حجاب فعلى هذا يعلو سند القرآن الكريم في هاتين الآيتين درجة فسند القرآن فيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بينما سند بقية القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى.

وقيل: بعض سورة الضحى أيضا أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بدون واسطة الملك، وجاء ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سألت الله مسألة وددت أني لم أكن سألته؛ ذكرت رسل ربي فقلت: يا رب! سخرت لسليمان الريح، وكلمت موسى. فقال - تبارك وتعالى-: ألم أجدك يتيما فآويتك، وضالا فهديتك، وعائلا فأغنيتك؟ قال: فقلت: نعم، فوددت أن لم أسأله».واعترض عليه بأنه ليس هو نص آيات السورة الكريمة، والسورة أوحي بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنصها الذي في القرآن الكريم عن طريق جبريل عليه السلام ، والوحي أعم من القرآن والقرآن الكريم هو

من قسم الوحي الذي بواسطة الملك، ما عدا الاستثناءات اليسيرة، وهي مسألة سورة الكوثر، وآواخر سورة البقرة.

وقيل الإيحاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدون واسطة جبريل كان إيحاء آخر إلى جانب الإيحاء بها عن طريق جبريل أيضا ، فالقرآن كله أوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام، وتميزت بعض الآيات بنزولها بكيفية أخرى إضافية بأن يكلم الله تعالى النبي بها مباشرة أو يراها في المنام فهو تنزيل آخر.

أَسماء القُرْآنُ

أسماء القرآن الكريم الواردة في الكتاب والسنة قيل هي خمسة وخمسون اسما وقيل هي تسعون منها القرآن والكتاب والفرقان والذكر الحكيم والمبين ورحمة ونور وضياءً وشفاء وهدىً والصواب أن أكثرها صفات للقرآن لا أعلام عليه

نُزُولُ القُرآنِ

النزول لغة: انحطاط من علو، ويأتي النزول أيضا بمعنى الحلول {فإذا نزل بساحتهم} يعني حل بساحتهم، يقال: نزل فلان بالمدينة يعني حل في المدينة، ويأتي النزول بمعنى الانحطاط من مكان عالٍ.

وأما النزول شرعا فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ليس في القرآن ولا في السنة، لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وهذا

هو اللائق به فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز».

ونزول القرآن الكريم يأتي على قسمين

النزول الأول هو نزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا قال تعالى عن القرآن الكريم {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ}

النزول الثاني هو تنزيل القرآن الكريم مفرقا على النبي صلى الله عليه وسلم على حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة إذا حصلت واقعة تكلم الله سبحانه وتعالى بما شاء أن يتكلم به من الآيات وسمعها جبريل عليه السلام ، ثم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه ما تكلم الله تعالى به من الآيات وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام. وكانت بداية التنزيل المنجم في ليلة القدر حين أوحى الله تعالى إلى نبيه في غار حراء الخمس الآيات الأول من سورة العلق فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى إلى السماء الدنيا مكتوبا دفعة واحدة، لئلا يكون للأمم السابقة، مزية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم فضل الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن أنزل الله تعالى عليها الكتاب مفرقا وتلقي بالسماع المتصل إلى رب العزة سبحانه وتعالى، وهذه مزية شريفة عظيمة، لا تضاهينا فيها أمة من الأمم وهذا هو القول

الأشهر بل حكى القرطبي الإجماع عليه أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين سنة».

عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض» وقال ابن عباس: «كان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا، وقال ابن عباس أيضا : « فصل القرآن من الذكر -يعني من اللوح المحفوظ- فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم».

وقال السيوطي: «أسانيدها كلها صحيحة» ، وقيل نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، ليلة قدر، في كل ليلة قدر ينزل الله ما يقدر إنزاله في تلك السنة إلى السماء الدنيا ، ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة ، وهذا قول مقاتل بن حيان، والفخر الرازي والحليمي والماوردي.

ومما ورد في تنزيل القرآن الكريم ما جاء في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَالزَّبُورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْهُ)) وفي رواية: ((وَصُحُفُ

إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ)) فكل الكتب أنزلها الله تعالى في شهر رمضان المبارك

ونزول القرآن مفرقا تارة ينزل جزء من الآية، كما في قوله تعالى: {لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} أنزلت الآية كلها على النبي صلى الله عليه وسلم ما عدا {غير أولي الضرر} لم يكن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر فلما جاء ابن أم مكتوم يشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أنزل الله تعالى {غيرُ أولي الضرر} أو (غيرَ أولي الضرر) قرئت بالرفع والنصب في القراءتين المتواترتين وكذا قوله: {وإن خفتم عيلة} إلى آخر الآية نزل بعد نزول أول الآية.

وقد تنزل آية كاملة، وقد تنزل مجموعة آيات بحسب الحاجة، خمس آيات كنزول أول خمس آيات من سورة العلق وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة وصح نزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون وقد تنزل سورة كاملة

كالفاتحة والأنعام والمدثر والمرسلات والبينة والكوثر والنصر والمسد والفلق والناس فهذه السور التي لم تنزل مفرقة، وإنما نزلت مجموعة،

والحكمة من التفريق تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا ينزل الوحي دفعة واحدة، وينقطع ويظل مقطوعا عن الوحي، فأراد الله تعالى تثبيت قلبه بأن يأتيه دائما وحي من الله سبحانه وتعالى، فيكون دائم الصلة بالله تعالى، وهذا من أسباب الثبات، لقوله تعالى: {لنثبت به فؤادك}.ومن حكم نزول القرآن مفرقا تسهيل الحفظ والفهم ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة لصعب حفظه وفهمه قال تعالى: {سنقرؤك فلا تنسى} ومن الحكم من نزول القرآن مفرقا أنه يؤدي إلى تكثير نزول الملك على النبي صلى الله عليه وسلم، فيؤدي إلى السرور بلقائه وتجدد العهد بالملك جبريل عليه السلام، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل عليه السلام.

ومن الحكم أيضا في كون القرآن لم ينزل جملة واحدة أنه منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا بنزوله مفرقا، قدر الله تعالى أن يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا، فلا بد أن ينزل المنسوخ أولا الذي قضى الله تعالى أن يعمل به في وقت معين إلى غاية معينة، ثم بعد ذلك ينزل الحكم الناسخ في الوقت الذي شاءه الله تعالى، ومن الحكم كذلك تدرج الشريعة، فبعض الأحكام أراد الله تعالى أن تكون متدرجة وتنزل على

مراحل، فهذا مما يقتضي نزول القرآن مفرقا مثل وجوب الصيام وتحريم الخمر، فقد أراد الله تعالى أن يكون على مراحل

المشيع والمفرد : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك». وهذا نوع من أنواع علوم القرآن يسمى المشيع الذي شيعته الملائكة، ويقابله المفرد وهو ما جاء به جبريل عليه السلام وحده فمن المشيع سورة الأنعام إذ شيعها سبعون ألف ملك، وفاتحة الكتاب روي أيضا أنها من السور المشيعة، وآية الكرسي ورد فيها وفي جميع سورة البقرة ما يفيد أنها أيضا من قسم المشيع، فعن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الْبَقَرَةُ سِنَامُ الْقُرْآنِ وَذِرْوَتُهُ نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَلَاثُونَ مَلَكًا)). وعن الضحاك قال: «خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ومعه من الملائكة ما شاء الله».

وقيل كل سور القرآن شيعت، فقد جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: «ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة». وقال الضحاك: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة الملك».وعلى هذا فيكون المفرد هو ما جاء به جبريل ومن معه من الحفظة، وأما المشيع فهو ما خص بزيادة على هذا

أول وآخر ما نزل : من فوائد معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل من القرآن، معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها معرفة تفسير القرآن لأن بعض الآيات يترتب على بعض والسيرة والمغازي تعرف من خلال معرفة المتقدم والمتأخر، فيعرف ما نزل في مكة، وما نزل في أثناء غزوة بدر، وفي أثناء غزوة أحد، ونحو ذلك فهذا يفيد في تفسير الآيات ويفيد في معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه

ونعرف أول ما نزل وآخر ما نزل بالنص وبتوقيف عن الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا أوقات نزول هذه الآيات قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم متى أنزلت».

أما أول ما نزل من القرآن الكريم فالجمهور على أن أول ما أنزل من القرآن سورة اقرأ إلى قوله تعالى: {علم الإنسان ما لم يعلم}.وهي الآية الخامسة منها كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها والقول الثاني وهو قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أول ما أنزل من القرآن سورة المدثر {يا أيها المدثر قم فأنذر} كاملة.

روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: {يا أيها المدثر} قال: قلت: أو {اقرأ باسم ربك}؟. قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ

فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِي فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَّرُونِي -يعني فغطوني- فَأَنْزَلَ اللهُ {يا أيها المدثر قم فأنذر})).وعن عائشة رضي الله عنها: «إن أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار».وسورة اقرأ ليس فيها ذكر الجنة والنار، وسورة المدثر فيها ذكر الجنة والنار، فكأنها تعني بذلك سورة المدثر، فقيل إن أول ما أنزل من القرآن مطلقا هو أول خمس آيات من سورة اقرأ وأول سورة كاملة أنزلت هي سورة المدثر، أو أن يكون المراد بأولية المدثر أي أول ما نزل بعد فترة الوحي، وليست الأولية المطلقة، أو أول ما نزل يأمره بالبلاغ وبالدعوة هو سورة المدثر على القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ بسورة اقرأ، وأرسل بسورة المدثر وقيل أول ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة، وهذا قول ابن عباس ومجاهد بن جبر لحديث عمرو بن شرحبيل، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها: ((إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً فَقَدْ وَاللهِ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: اذهب مع محمد صلى الله عليه وسلم إلى ورقة، فانطلقا أي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى

ورقة، فقصا عليه فقال: ((إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأُفُقِ فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين».وهو حديث مرسل ورجاله ثقات وقد عارضه ما هو أرجح منه، فيحتمل أن يكون خبرا عن نزول الفاتحة بعد نزول اقرأ والمدثر، وآخر سورة نزلت بمكة المؤمنون وقيل العنكبوت، وهذه آخرية مقيدة بمكة ، وليست آخر ما نزل مطلقا وأما أول ما نزل في المدينة فقد جاء في الأثر عن علي بن الحسين قال: «أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك، وآخر سورة نزلت بها المؤمنون وأول سورة نزلت بالمدينة ويل للمطففين، وآخر سورة نزلت بها براءة، وأول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم» وقال الجمهور أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقيل أول سورة نزلت بالمدينة سورة القدر،

وأما آخر ما نزل من القرآن فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «آخر آية نزلت {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} وآخر سورة نزلت براءة» وهذه الآية المذكورة هي آخر آية من سورة النساء والقول الثاني ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخر آية نزلت آية الربا» ورواه البيهقي عن عمر أيضا رضي الله عنه والمراد بها

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين} هذه هي آية الربا في سورة البقرة، الآية ٢٧٨.

وروى أحمد وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «من آخر ما نزل آية الربا» وفي رواية البيهقي قال: «آخر ما نزل آية الربا» فلذلك هذا القول معناه مِن آخر ما نزل ، وذلك توفيقا بين الروايات. والقول الثالث هو ما رواه النسائي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخر شيء نزل من القرآن {واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله}» وهي الآية ٢٨١ من سورة البقرة.

وجاء عن محمد بن شهاب الزهري قال: «آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين». وقال سعيد بن المسيب: «بلغني أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين». وأحدث شيء بالعرش هو آخر ما نزل من الله سبحانه وتعالى

قال السيوطي رحمه الله تعالى: «لا منافاة بين هذه الروايات في آية الربا {واتقوا يوما} وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فتكون هذه الأقوال كلها شيئا واحدا».

وقال ابن حجر رحمه الله: «لعل المقصود بأن قوله تعالى {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} هي آخر آية أي آخر آية من آيات المواريث وليس المقصود الآخرية المطلقة» وقال البيهقي: «يجمع بين هذه الاختلافات بأن

كل واحد أجاب بما عنده». وقال القاضي أبو بكر: «هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكلٌ قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل».وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: «إن آخر آية نزلت: آخر آيتين من سورة التوبة». وسورة التوبة هي من أواخر السور نزولا في قول البراء رضي الله عنه وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن آخر سورة نزلت: {إذا جاء نصر الله والفتح}» وهذا القول هو أشهر الأقوال.

وروى الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه». وروى أيضا الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح» والمقصود هنا بالفتح {إذا جاء نصر الله والفتح} وليس {إنا فتحنا لك فتحا مبينا} توفيقا بينه وبين الروايات الأخرى التي فيها أن آخر سورة نزلت سورة {إذا جاء نصر الله والفتح}وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «براءة من آخر القرآن نزولا».

وقال جمهور العلماء سورة {إذا جاء نصر الله والفتح} هي آخر سورة كاملة أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يمنع أنه أنزلت بعدها آيات وهي آيات الربا، ، وآخر سورة من السور الطوال سورة براءة ، فهي آخرية مقيدة، وآخر السور نزولا من سور الأحكام سورة المائدة ، فهي آخرية مقيدة كذلك .

المكي والمدني

القرآن الكريم منه ما هو مكي ومنه ما هو مدني ، وتمييز المكي من المدني يفيد في معرفة الأحكام الشرعية، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، وترتيب الأحكام الشرعية، والتعرف على مراحل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وفي التفريق بين المكي والمدني ثلاثة أقوال ، الأول باعتبار المكان، فما نزل بمكة ولو بعد الهجرة فهو مكي وما نزل بالمدينة فهو مدني، وكل ما كان غير مكي أو مدني كالذي نزل بتبوك وغيرها من أسفار النبي صلى الله عليه وسلم يسميه القائلون بهذا القول القرآن السفري وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ)) وذلك لأن تبوك من الشام ولأنه أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإسراء والمعراج آيات فتكون شامية لأنه عرج به من بيت المقدس.

قال السيوطي: «يدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها مثل بدر وأحد وسلع».

والثاني باعتبار زمان النزول فالقرآن المكي ما نزل قبل الهجرة ، والقرآن المدني هو ما نزل بعد الهجرة في أي مكان كان نزوله، فالذي نزل بمكة بعد الهجرة في حجة الوداع وصلح الحديبية وفتح مكة مدني ، وهذا الذي عليه جمهور العلماء، وما نزل في سفر الهجرة على هذا الرأي مكي، قال يحيي بن سلام: «ما نزل بمكة، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو المدني»

والثالث باعتبار المخاطب به فالمكي ما خوطب فيه أهل مكة، والمدني ما خوطب فيه أهل المدينة فما فيه {يا أيها الناس} فهذا خطاب لأهل مكة، فيكون مكيا، وما فيه {يا أيها الذين آمنوا} خطاب للمؤمنين في المدينة، فيكون مدنيا

وقيل : القرآن أربعة أقسام قسم مكي، وقسم مدني، وقسم ليس مكيا ولا مدنيا، وقسم مكي ومدني يعني بعضه مكي وبعضه مدني على أساس أن بعض السور نزل بعضها في مكة وبعضها في المدينة

ويرجع في معرفة المكي والمدني إلى السماع والقياس فأما السماع فهو الآثار المروية عن الصحابة والتابعين لأنهم نقلوا زمان ومكان نزول السور فجاء

عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري أنه قال: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت». وسأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: «نزلت في سفح هذا الجبل وأشار إلى جبل سلع ، وأما القياس فبالعلامات التي يستدل بها على المكي والمدني، فكل سورة فيها {يا أيها الناس} فهي سورة مكية، وكل سورة فيها (كَلا) فهي سورة مكية، قيل لم تنزل (كلا) في المدنية، لأن مكة كفارها جبابرة، فتكرر في القرآن المكي (كلا)على وجه التهديد والردع، بخلاف اليهود فلم يحتج معهم إلى إيراد (كلا) لذلتهم وضعفهم.

وكل سورة أولها حرف تَهَجٍّ سوى الزهراوين والرعد فهي مكية، وأي سورة فيها قصة آدم وإبليس سوى سورة البقرة فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء السابقين والأمم الخالية كقصص عاد وثمود وقوم نوح فهي سورة مكية، وكل سورة فيها فريضة من الفرائض أو حد من الحدود فهي مدنية.

ومما ورد في هذه الضوابط القياسية ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان {يا أيها الذين آمنوا} أنزل بالمدينة، وما كان {يا أيها الناس} أنزل بمكة». وعن ميمون بن مهران رحمه الله قال: «ما كان في القرآن {يا أيها الناس} أو {يا بني آدم} فإنه مكي، وما كان {يا أيها الذين آمنوا} فهو مدني».

ويستثنى من ذلك أن سورة النساء مدنية باتفاق العلماء وهي مبدوءة بـ {يا أيها الناس} وسورة الحج مكية وفيها {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا}.

وسورة البقرة مدنية، وفيها {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} و{يا أيها الناس كلوا مما في الأرض}. فقاعدة {يا أيها الناس}، و{يا أيها الذين آمنوا} قاعدة أغلبية، وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية، ويستثنى منها سورة العنكبوت فهي مكية وكل سورة فيها سجدة فهي مكية،

وقد تكون السورة مكية ما عدا آيات بعينها أنزلت بالمدينة لأن جبريل عليه السلام كان عندما ينزل بالآيات على النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: اجعل آية كذا بعد آية كذا، وقبل آية كذا في سورة كذا، فبعض الآيات التي أنزلت بالمدينة على النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يلحقها ببعض السور المكية، وكذلك فبعض السور المدنية فيها آيات مكية، فكل نوع من المكي والمدني فيه آيات مستثناة، فإذا قيل سورة كذا مكية، أو مدنية، فباعتبار غالب السورة،

السور المدنية : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر ، فهذه عشرون سورة اتفقوا على أنها مدنية، والسور المختلف اثنتا عشرة سورة، قيل: أنزلت

مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة، وقيل: أنزل بعضها بمكة، وبعضها بالمدينة، فوقع الخلاف في عدها مكية أو مدنية، وهي الفاتحة والرعد والرحمن والصف والتغابن والمطففين والقدر والبينة والزلزلة والإخلاص والفلق والناس ، وما عدا ما سبق من السور فهو مكي

أَسبابُ النُّزُولُ

ينقسم القرآن الكريم إلى قسمين، قسم نزل ابتداء بغير سبب، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، وهذا هو القسم الذي يحتاج إلى معرفة أسباب نزوله، فقيل في تعريف سبب النزول هو ما نزلت الآيات أيام وقوعه، والصواب أن يقال في تعريف سبب النزول هو الذي أنزلت الآية بشأنه أولأجله أو من أجله عملا بمذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم وهو جواز التعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى ، وأكثر القرآن من القسم الذي نزل ابتداء بغير سبب، والأقل من القرآن الكريم هو الذي نزل لسبب.

وللعلم بأسباب النزول فوائد منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وتخصيص الحكم عند بعض العلماء، وهم الذين يقولون: العبرة بخصوص السبب، وأن صورة السبب داخلة في الحكم دخولا قطعيا، فلا يجوز استثناؤها باجتهاد، ومنها الوقوف على معاني الآيات الكريمة، وإزالة

الإشكالات التي تستشكل، و معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم، فتعرف فضائل الصحابة

وأول من أفرد كتابا في أسباب النزول هو الإمام علي بن المديني ثم تبعه جماعة من الأئمة منهم الواحدي، والجعبري، وابن حجر، والسيوطي رحمهم الله تعالى

ولا يحل القول في سبب نزول الآية الكريمة إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا تنزيل القرآن الكريم ووقفوا على الأسباب، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «قولهم نزلت هذه الآية في كذا، تارة يريدون سبب النزول وتارة يريدون أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا وكذا». فقوله تعالى: {الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} فكل أهل البدع يدخلون في هذه الآية، وليس المعنى أنهم كانوا موجودين وقت نزولها ففعلوا شيئا فنزلت بشأنهم، ولكن المقصود أنهم يدخلون في معنى الآية، فإذا قال الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا ففيه احتمالان:

أحدهما أن الصحابي يقصد أنه حصل هذا الأمر، وأنزلت الآية من أجله، فيكون مسندا كأنه يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم، والاحتمال الثاني أن يكون الصحابي اجتهد وربط بين السبب والآية، فلا يكون من باب المسند أو المرفوع، وإنما يكون من باب اجتهاد الصحابي ورأيه

فلذلك عد الإمام البخاري تفسير الصحابي مسندا، وخالفه كثير من العلماء وعدوه من باب اجتهاد الصحابي، إلا أن يدل دليل على أن الآية نزلت عقب حادثة بعينها، فإنه داخل في المسند وأما قول التابعي: أنزلت الآية الكريمة بسبب كذا، فالصواب أنه مرفوع مرسل فيقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر أو بحديث آخر فيه ضعف يسير

وقد تتعدد أسباب النزول للآية فإما أنه حدثت وقائع متعددة فأنزل الله تعالى الآية على إثرها وإما أن تكون الآية مما تكرر نزوله

حفظ القرآن

حفظ القرآن الكريم في الصدر فرض كفاية، فيجب أن يكون القرآن الكريم محفوظا في صدور طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم } وهو اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان القرآن الكريم محفوظا في صدره الشريف وقد حفظ القرآن جمع من الصحابة منهم الخلفاء الراشدون الأربعة فقد كانوا يحفظون القرآن على زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال بهذا أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب القراءات وابن كثير في البداية وابن حجر في الفتح والسيوطي في الإتقان _ رحمهم الله _ وغيرهم

، وأما حديث (لم يجمع القرآن إلا أربعة) فالمراد التمثيل وليس الحصر لأن الحديث له روايات مختلفة في كل رواية عد أربعة غير المذكورين في الرواية الأخرى ، وفي بعض الروايات إلا خمسة ، وفي بعضها إلا ستة ، مما يدل على أنهم أكثر من أربعة ، قال الإمام المازري أحد كبار أئمة المالكية قال: «تمسك بقول أنس بن مالك هذا جماعة من الملاحدة، وادعوا أنه لم يحفظ القرآن من الصحابة إلا أربعة، أو إلا خمسة».

فالصواب أن هذه الأحاديث لا تفيد الحصر، وأجاب العلماء عنها بأجوبة:

الجواب الأول: أنه لا مفهوم له، ولا يفيد الحصر، بل هؤلاء ممن جمع القرآن الكريم، وجمعه غيرهم ممن لم يذكرهم أنس.

أو أنه على تقدير مِنْ وهذا كثير في لغة العرب أن تكون مِنْ مقدرة محذوفة، كما في أحاديث أفضل الأعمال ، وأحب الأعمال إلى الله ، فالتقدير: مِن أحب الأعمال

وجواب آخر أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي أنزل بها إلا هؤلاء، وأما غيرهم من حفاظ القرآن فكانوا كثيرين، لكن حفظوه على قراءة أو قراءتين أو بعض الأوجه، ولم يحفظوه بجميع أوجه القراءات.

ووجه آخر أنه لم يحفظ القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملا ولم يتلقه كاملا من النبي صلى الله عليه وسلم إلا هؤلاء الأربعة، لكن حفظ القرآن الكريم غيرهم وتلقوا بعضه من النبي صلى الله عليه

وسلم مباشرة، وبعضه بواسطة من سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة الآخرين؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كان يقرأ بعضهم على بعض

ويؤيد هذا الوجه من الوجوه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة من القرآن الكريم». فهذا ظاهره أنه لم يتلق كل القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما تلقى من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا واسطة سبعين سورة، وبقية السور تلقاها بواسطة.

فهذا وجه من الوجوه وابن مسعود كان من حفظة القرآن ومن كبار علماء القرآن وتفسيره، وكان رضي الله عنه يقول: «والله ما من آية في كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه». فمعناه أنه كان حافظا للقرآن الكريم، فما من آية في القرآن إلا وهو يعلم أين نزلت ومتى نزلت، فإذن غاية ما يفيده الأمر أنه قد يكون تلقى بعض القرآن بواسطة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون عرضه بعد ذلك عليه .

ووجه آخر أنهم هم الذين جمعوا القرآن الكريم كتابة، فقالوا: إن هذا الحديث لا علاقة له بالحفظ، وإنما هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كتابة لأن كتابة القرآن سميت جمعا يقال: جمعة أبي بكر، وجمعة عثمان،

فقالوا: إن هؤلاء الأربعة أو هؤلاء الخمسة هم الذين كتبوا القرآن الكريم كله، وكان مكتوبا عندهم في بيوتهم كاملا من أوله إلى آخره على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما بقية الصحابة فكانوا يحفظون القرآن لكن ليس كل القرآن مكتوبا عندهم، وهؤلاء الأربعة تميزوا بجمع القرآن مكتوبا.

وقيل: هؤلاء الذين جمعوا القرآن ممن تصدوا للتعليم والإقراء، وليس المراد هم الذين جمعوا القرآن فقط، ولكن هذا وجه ضعيف.

والوجه الذي رجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن المراد بقول أنس: جمع القرآن أربعة أي حفظه من الخزرج أربعة ، وهذا لا ينفي وجود حفاظ آخرين من المهاجرين والأوس ، وعلل ذلك رحمه الله بأنه من سياق الأثر أنه قاله في معرض المناظرة بين الأوس والخزرج، والمفاخرة بينهما ،قال أنس رضي الله عنه : «افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة من اهتز له العرش: سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن أبي ثابت، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم»

وفي الصحيح أن أبا بكر رضي الله عنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وقد قدمه صلى الله عليه وسلم في مرضه إماماً للمهاجرين

والأنصار فدل على أنه كان أقرأهم وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأه في شهر وأخرج ابن أبي داود بسند حسن بن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري.

وأخرج البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وأبوزيد واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان وقيل عثمان وتميم الداري وأخرج هو وابن أبي داود عن الشعبي قال: جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ستة: أبيّ ومعاذ وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وأبو زيد ومُجَمِّع بن جارية وقد أخذه إلا سورتين أوثلاث ، أما الذين قالوا لم يكمل بعض الخلفاء الراشدين حفظه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يقولون أكملوا حفظه بعد وفاته ، لأنه ثبت أن عمر رضي الله عنه كان يقرأ في صلاة الفجر بسورة يونس وهود ويوسف والنحل وأمثالها ، وأنه كان يقرئ القرآن أيام خلافته وقرأ أبو العالية على عمر ثلاث ختمات ، ذكر ذلك الحافظ الذهبي في السير ، وكذلك كان عثمان وعليّ رضي الله عنهما يقرئان القرآن ، وقرأ على كل من عثمان

وعليّ جمعٌ كبيرٌ ، وممن قرأ عليهما أبو عبد الرحمن السلمي شيخ عاصم ، وثبت أن عثمان قرأ القرآن كله من حفظه في ركعة واحدة أوتر بها في المسجد الحرام ، رواها الطبري والطحاوي وغيرهما بأسانيد صحيحة صححها النووي والألباني وغيرهما ، وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)) و في صحيح البخاري أنه في غزوة بئر معونة قتل سبعون من القراء رضي الله عنهم وأرضاهم،

وقد استشهد من القراء في معارك المرتدين -وكانت قريبة العهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم- عشرات من حفظة القرآن الكريم ، وهذا الذي دعا أبا بكر رضي الله عنه إلى جمع القرآن، وكذلك أيضا مما يدل على أنه لا يريد الحصر أن امرأة من الصحابيات جمعت القرآن وليست معدودة من هؤلاء، فقد روى أبو سعد في الطبقات بسنده عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث أنها كانت قد جمعت القرآن وهي التي أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها وكان يسميها الشهيدة رضي الله عنها.

ومن الحفاظ أيضا طلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بين اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن

السائب، والعبادلة الأربعة، ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير، وعائشة وحفصة وأم سلمة، فهؤلاء الثلاثة كن من حفظة القرآن رضي الله عنهن وأرضاهن، ومن المهاجرين أيضا كما روى ابن أبي داود: تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت، وأبو حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو موسى الأشعري ، والمشتهرون بإقراء القرآن الكريم الذين ترجع إليهم قراءات القرآن الكريم، والبعض قد عدهم سبعة والبعض عدهم ثمانية: عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، فهؤلاء ترجع إليهم القراءات العشر ، فكلها ترجع في أسانيدها إلى هؤلاء الثمانية من الصحابة رضي الله عنهم وإلى تلاميذهم من الصحابة والتابعين .

كُتَّابُ الْوَحْيِ

هم الذين كانوا يكتبون القرآن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الوحي إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أملاه عليهم، وكتاب الوحي قيل: إنهم ستة وعشرون كاتبا، وقيل: كانوا اثنين وأربعين كاتبا، وجمع بينهما بأن الكتاب اثنان وأربعون لكن منهم من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم أشياء غير القرآن وأما كتبة القرآن فمنهم الخلفاء الأربعة الراشدون رضي الله عنهم وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت، والزبير بن

العوام، والمغيرة بن شعبة، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وعامر بن فهيرة، ويزيد بن أبي سفيان، عمرو بن العاص، وثابت بن قيس رضي الله عنهم.

والقرآن الكريم كتب كله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه وأمره ومن إملائه صلى الله عليه وسلم، وهذا من مزايا القرآن الكريم بخلاف الكتب السابقة، وهذه الصحف التي كتب فيها القرآن الكريم جمعها أبو بكر رضي الله عنه

جَمعُ القُرآنِ الكَريم

المراحل التي مر بها جمع القرآن الكريم أنه كان مكتوبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن كان مفرقا، وكان مكتوبا على الرقاع من جلد أو كاغد وعظام أكتاف الإبل والعسب وهي جريد النخل واللخاف وهي صفائح الحجارة البيض الرقاق والأقتاب وهي الخشب الذي يوضع ظهر البعير والقراطيس وهي ورق البَرْدِيّ ، ولم يجمعه النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف واحد لأنه كان يزيد بنزول ما ينزل منه منجما، وينسخ بعض المتلو، فلما زال هذا المانع من جمع القرآن بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، جمعه أبو بكر رضي الله عنه.

والجمعة الأولى كانت في عهد أبي بكر بمشورة عمر، والجمعة الثانية كانت في عهد عثمان بمشورة حذيفة رضي الله عنهم.

وقصة الجمعة الأولى رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ أي اشتد وكثر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا إن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن"، قال أبو بكر: "قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" فقال عمر: "هو والله خير"، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: "إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتَتَبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر ».

وكانت طريقة زيد رضي الله عنه أنه يشترط وجود نسختين مكتوبتين من القرآن الكريم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من إملائه

بالإضافة إلى صدور الرجال التي حفظ فيها القرآن، وهو نفسه من حفظة القرآن الكريم.

ومن أسباب اختيار زيد أنه حضر العرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل، فكان عالما رضي الله عنه بترتيب القرآن الكريم على آخر ترتيب استقر عليه القرآن الكريم، وبنسخ ما نسخ، وبقاء ما بقي، رضي الله عنه وأرضاه.

فما من آية من كتاب الله تعالى إلا ووجد منها نسختين أو أكثر إلا آخر آيتين في سورة براءة، فوجد منهما نسخة واحدة مكتوبة عن خزيمة بن ثابت الأنصاري، فاستحضر الصحابة حينئذ قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((شَهَادَةُ خُزَيْمَةَ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ)) فقبلوا منه هذه النسخة، وعدوها بشهادة رجلين، فكانت هذه هي الجمعة الأولى.

وورد في روايات الحديث أيضا، أن زيدا كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان على أنه من القرآن الكريم، وفعل امتثالا لأمر أبي بكر، فقد ورد أن أبا بكر قال لعمر وزيد: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه».

قيل : رجلان يشهدان على أنه من القرآن الكريم وأنهما حضرا تنزيله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: المراد بالشاهدين الكتابة والحفظ، زيادة في التحري، والاحتياط لكتاب الله سبحانه وتعالى، حتى

جمع القرآن الكريم كله من أوله لآخره في بيت أبي بكر رضي الله عنه، ثم عند عمر، ثم عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

أما الجمعة الثانية فقد كانت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد استعار عثمان رضي الله عنه الكتب أو الرقاع التي كتب فيها القرآن الكريم، وكانت في بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، فاستعارها عثمان رضي الله عنه منها فنسخها ثم ردها إليها، وعن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، قال ابن شهاب : فأخبرني خارجة بن زيد

بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها في سورتها في المصحف رواه البخاري، ووضعوها في الكتبة الثانية. قال الحافظ ابن حجر: «كانت هذه القصة سنة ٢٥ ه» ولم يختلفوا مع زيد بن ثابت إلا في حرف واحد، أي في طريقة الإملاء والهجاء والكتابة، وهو (التابوت) في سورة البقرة، هل يرسمونه بالتاء أو بالهاء؟ فأمرهم زيد أن يكتبوه على لغة الأنصار بالهاء، (التابوة) وقال الرهط القرشيون: إنما هي بالتاء أي المبسوطة على لغة قريش فكتبوه كذلك ، ولم يختلفوا إلا في هذا الحرف، وكان الحامل على جمع القرآن في عهد عثمان هو اختلاف القراءات، فأهل الشام وأهل العراق اختلفوا في القراءة، حتى كادوا يكفر بعضهم بعضا بسبب اختلافهم في القراءة ربما كان بعضهم يحفظ بعض السور المنسوخة أو الآيات المنسوخة، فالظاهر أن اختلافهم لم يكن مجرد الاختلاف في السائغ في أوجه القراءة، أما عدد المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه وأثر هذه المصاحف في القراءات، فقيل: كتب عثمان رضي الله عنه أربع نسخ على عدد لجنة كتابة المصحف، كل واحد منهم كتب مصحفا، وبعث إلى الكوفة نسخة، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام ثالثة، وأبقى

واحدة في المدينة، وهي المعروفة بالمصحف الإمام ، وقيل المصحف الإمام اسم يشمل كل النسخ العثمانية ، وقيل إنها ست نسخ، هذه النسخ الأربع، ونسخة لأهل مكة، ونسخة أخرى في المدينة، احتفظ بنسخة في بيته لتكون أصلا يرجع إليه ، ونسخة وضعها في المسجد ينسخ الناس منها مصاحفهم، وقيل: جعله سبع نسخ، وزادوا على ذلك نسخة إلى البحرين، وقيل: إنه كتب نسخة أيضا وبعثها إلى اليمن، وهذا قاله أبو حاتم السجستاني، فتصبح ثمانية مصاحف ، ومن العلماء من وفق بين هذه الأقوال، فقالوا: لعلها كانت في البداية أربعة ثم بعد ذلك نسخت النسخ الأخرى منها ، وكان من هدي عثمان رضي الله عنه أنه كان يبعث مع كل مصحف مقرئا يقرئ أهل المصر الذين يرسل إليهم المصحف ، وكانت المصاحف العثمانية خالية من النقط، ومن التشكيل ومن الألفات، فكانت محتملة لأوجه القراءة المختلفة، فلذلك أرسل مع كل مصحف معلما يعلم قراءة القرآن الكريم على حسب ما تلقى هذا المعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما يوافق رسم المصحف

الأَحرُفُ السَّبْعَةُ وعلاقتها بالقراءات

لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم على سبعة أحرف ، ودل على ذلك حديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه جمع غفير من الصحابة ، منهم عمر وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وأبوبكرة

وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم جميعا والمقصود بالسبع هو حقيقة العدد وليس المبالغة ، و كان تعدد الأحرف المنزلة بالمدينة ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاني الثانية، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاني الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءني الرابعة فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا .

وعن أبي بن كعب وأبي بكرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل وميكائيل ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : يا محمد : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل استزده ، فقلت زدني فقال: اقرأه على ثلاثة أحرف ، فقال ميكائيل استزده ، فقلت زدني ، كذلك حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال: اقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان

في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتربصت حتى سلم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه . ويستفاد من هذه الأحاديث أن الله تعالى أنزل كتابه الكريم على سبعة أحرف ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها وأقرأ بها أصحابه ، هذا ، ومما يجب القطع به أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ، لأن القرآن أنزل بها وقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، قبل أن يولد القراء السبعة ويختاروا الأوجه التي اختاروا القراءة بها ، قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في

الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض الجهال . وأما المراد بالأحرف السبعة الواردة في الحديث فقد اختلف فيه العلماء اختلافا كبيرا حتى بلغت الأقوال أربعين قولا ، ولكن أكثرها متداخل ولا يعرف قائله ، فنذكر قولين هما أشهر ما قيل في المسألة ، القول الأول : المراد بها سبع لغات من لغات العرب ، وهو قول سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن وهب ، وابن جرير الطبري ، وأبي جعفر الطحاوي ، وهو الذي عليه أكثر العلماء ، وقد اختلف في تعيين هذه اللغات ، فقال أبو عبيد القاسم بن سلام: هي لغة قريش وهذيل وهوازن وتميم وكنانة وثقيف واليمن ، وقال أبو حاتم السجستاني: هي لغة الأزد وربيعة وسعد بن بكر وقريش وهذيل وهوازن وتميم ، وقيل غير ذلك ، والقول الثاني : المراد بها سبعة أوجه من أوجه الاختلاف ، وهو قول ابن قتيبة وابن الجزري وغيرهما ، وبين القائلين بهذا القول اختلافات شكلية جعلت بعض العلماء يعده أقوالا ، وطريقة ابن الجزري أدق وأشهر وأكثر استيعابا ، قال – رحمه الله – : إني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلافات ، وهي : ١ – الاختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة ، مثل قوله تعالى : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) قرئ (البخل) بفتح الباء والخاء ، وقرئ بضم الباء وسكون الخاء . ٢ –

الاختلاف في الحركات بما يغير معناها دون صورتها مثل قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قرئ برفع آدم ونصب كلمات ، والعكس . ٣ - الاختلاف في الحروف بما يغير معناها دون صورتها مثل قوله تعالى : (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) قرئ (تبلو) بالباء ، وقرئ (تتلو) بالتاء . ٤ - الاختلاف في الحروف بما يغير صورتها دون معناها مثل قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) قرئ (الصراط) بالصاد ، وقرئ (السراط) بالسين ٥ - الاختلاف في الحروف بما يغير معناها وصورتها مثل قوله تعالى : (كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم) قرئ (أشد منهم) ، و قرئ (أشد منكم) . ٦ - الاختلاف في التقديم والتأخير ، مثل قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) قرئ (فيقتلون) بضم الياء ، (ويقتلون) بفتح الياء ، وقرئ بالعكس . ٧ - الاختلاف في الزيادة والنقصان ، مثل قوله تعالى : (ووصى بها إبراهيم بنيه) قرئ (ووصى) و قرئ (وأوصى) ، **وأما العلاقة بين القراءات والأحرف** فالأقوال فيها طرفان ووسط ، فقيل : القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني مشتملة على جميع الأحرف السبعة ، وهو قول جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين ، وحجتهم أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وقيل : جميع

القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني هي حرف واحد فقط من الأحرف السبعة وهو قول الطبري وأبي القاسم الشاطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم ، وحجتهم أن الأحرف السبعة ليست واجبة على الأمة وإنما هي جائزة مرخص فيها ويجوز للأمة أن تختار أي حرف منها ، فلما رأى الصحابة أن الأمة تتفرق و تختلف و تتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة و لم يكن في ذلك ترك واجب و لا فعل محظور ، قال الإمام أبو جعفر الطبري : الأمة أمرت بحفظ القرآن و خيرت في قراءته و حفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت كما أمرت إذا هي حنثت في يمين و هي موسرة فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأي الثلاث شاءت، كانت قد أصابت حكم الله وأدت في ذلك الواجب الذي عليها من حق الله فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد ، وقال الإمام أبو عمرو الداني: وجه الاختلاف في القراءات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام عرضة فلما كان العام الذي توفي فيه عرضه عليه عرضتين فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجه و قراءة من هذه الأوجه و القراءات

المختلفة و لذلك قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل عليها و إنها كلها كاف شاف و أباح لأمته القراءة بما شاءت منه مع الإيمان بجميعها و الإقرار بكلها إذ كانت كلها من عند الله تعالى منزلة و منه مأخوذة ، و لم يلزم أمته حفظها كلها و لا القراءة بأجمعها بل هي مخيرة في القراءة بأي حرف شاءت كتخييرها إذا هي حنثت في يمين و هي موسرة أن تكفر بأي الكفارت شاءت ، وما ذكره الإمام الداني من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على جبريل عليه السلام في كل عام بوجه واحد أو بقراءة واحدة خالفه فيه آخرون و قالوا إنه صلى الله عليه كان يقرأ على جبريل في كل عام بجميع الأوجه المنزلة ، فكانت المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مشتملة على جميع الأحرف ، فلما كثر الاختلاف في القراءة كتب الصحابة المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه مقتصرين على حرف واحد وهو الحرف الموافق للعرضة الأخيرة ، والوسط و هو مذهب جماهير العلماء هو أن المصحف العثماني قد اشتمل على ما يحتمله رسمه من القراءات ، جامع للعرضة الأخيرة ، وأن القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني قد اشتملت على كثير مما في الأحرف السبعة ، إلا أنها لم تستوعبها ، ويدل على ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقرأ (وجاءت سكرة الحق بالموت) وهي في المصحف العثماني : (وجاءت سكرة الموت بالحق) ، وأن أبا الدرداء رضي الله عنه

كان يقرأ (والذكر والأنثى) وهي في المصحف العثماني : (وما خلق الذكر والأنثى) ونحو ذلك من القراءات المخالفة لرسم المصحف ، وهذه القراءات هي من الأحرف السبعة لأن الصحابة سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يمكن أن يقال: إن المصحف العثماني قد اشتمل على جميع ما لم ينسخ من الأحرف السبعة .

الحكمة من تعدد القراءات :لقد كان لتعدد القراءات أهمية عظيمة ، واشتمل تعددها على حكم جليلة، قال القسطلاني: لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لايوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى ، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط ، وذكر الإمام ابن الجزري حكما كثيرة لتعدد القراءات ، منها : ١

- التسهيل والتخفيف على الأمة ، لأن كل قوم تسهل عليهم لهجات تصعب على آخرين ، فجاءت القراءات مشتملة على لهجات كثيرة ، ليختار كل مسلم ما يسهل عليه منها فيقرأ به ٢ - نهاية البلاغة ، وكمال الإعجاز ، وغاية الاختصار ، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات ، ولو كان مكان القراءات آيات تدل على معانيها لطال بذلك القرآن جدا .

٣ - القراءات على كثرتها يصدق بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض ، وكلها على نمط واحد في بلاغتها، وذلك برهان قاطع على أنها من عند الله ،

إذ لا يستطيع بشر أن يأتي بهذا ٤ - سهولة الحفظ وتيسير النقل ، لأن حفظ كلمة واحدة ذات أوجه أسهل من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات .

٥ - إعظام أجور هذه الأمة ، لأنهم بذلوا قصارى جهودهم في استنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ ، وفي استخراج كمين أسراره وخفي إشاراته

٦- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم ، حيث تلقت كتاب ربها هذا التلقي فلم يهملوا منه تحريكا ولا تسكينا ولا تفخيما ولا ترقيقا ، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإمالات ، ولم تفعل هذا أمة بكتابها .

٧ - كان تنوع القراءات حافزا على حفظ أسانيد القرآن ، لاحتياج الأمة إلى توثيق القراءات بإسنادها إلى القراء ، فتسبب ذلك في اتصال أسانيد القرآن من خلال أسانيد القراءات ، واتصال السند من خصائص هذه الأمة .

أركان القراءة الصحيحة :للقراءة الصحيحة ثلاثة أركان ، وهي : ١- موافقة العربية ، ولو بوجه . ٢ - موافقة أحد المصاحف العثمانية ، ولو احتمالا . ٣ - صحة الإسناد .

فإذا توفرت هذه الأركان في قراءة فهي صحيحة يجب قبولها ، وجميع

القراءات العشر الصغرى والكبرى قد توفرت فيها هذه الأركان ، وإذا اختل ركن من هذه الأركان فهي قراءة ضعيفة أو باطلة لا يحتج بها ، حتى لو كانت منسوبة إلى القراء السبعة .

الركن الأول : موافقة وجه من وجوه اللغة العربية سواء أكان فصيحا أو أفصح ، وسواء أكان مجمعا عليه أو مختلفا فيه ، والغرض من إيراد هذا الركن هو بيان أن القراءة الصحيحة لا يمكن أن تكون على خلاف لغة العرب ، لأن الله تعالى أنزل كتابه بلسان عربي مبين ، وليس الغرض أن القراءة التي صح سندها ترد بدعوى ورودها على وجه غير مشتهر بين النحاة ، وذلك لأن النحاة يثبتون أوجه اللغة بأبيات مجهولة القائل ، وبكلام مجاهيل الأعراب التي لا يعرف لها إسناد ، فمن الأحرى أن يستدل بالقراءات الصحيحة على إثبات أوجه اللغة ، وما من قراءة ثابتة طعن فيها أحد النحاة بدعوى مخالفتها للغة إلا ووجد الأئمة من كلام العرب ما يشهد لصحتها

الركن الثاني : موافقة أحد المصاحف العثمانية ، فقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحتها الأنهار) موافقة للمصحف المكي ، وإن كانت قد رسمت في المصاحف الأخرى (جنات تجري تحتها الأنهار) ، بحذف (من) ، وكذلك يكفي أن يكون رسم المصحف محتملا للقراءة فلفظ (قل) يحتمل أن يقرأ (قال) ، ولفظ (الصلوة) محتمل أن يقرأ (الصلاة) ولفظ

(كبيرا) محتمل أن يقرأ (كثيرا) ، وذلك لأن رسم المصحف ليس فيه نقط. ولا تشكيل ، ويستغنى فيه كثيرا عن كتابة الألفات ، أو تكتب الألف ياء أو واوا باعتبار أصلها

الركن الثالث : صحة الإسناد ، وهي شرط إجماعا ، ولكن هل يشترط التواتر لثبوت القراءة ؟ الصحيح الذي عليه المحققون أنه لايشترط التواتر لأنه لادليل على اشتراطه ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث آحاد الصحابة لتعليم القرآن ، وكانوا يسمعون الآية من الصحابي فيعملون بها ويقرؤون بها في صلواتهم ، قال ابن الجزري : (وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لايثبت به قرآن ، وهذا مما لايخفى ما فيه ، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم ، ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا ثم ظهر فساده .) ولكن يمكن أن يقال إن أسانيد القراءات العشر وإن كانت آحادية فإن كل واحد من القراء العشرة لم يكن منفردا بما يقرأ به بل شاركه فيه أهل بلده ، حتى لو انقطعت أسانيدهم ولم يعتن بنقلها ، اكتفاء بالبعض عن الكل

ورسم المصحف العثماني توقيفي واجب الاتباع، لأن عثمان رضي الله عنه نسخ مصاحفه من صحف أبي بكر، وصحف أبي بكر مكتوبة من

الصحف التي أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرها، فيجب المحافظة على هذا الرسم، ولأن رسم المصحف العثماني مشتمل على القراءات الثابتة، وإذا رسم بطريقة الإملاء الحديث فإن هذا لا يشتمل على القراءات ويؤدي إلى خلل في الوقوف، فالكلمات المرسومة بالتاء يوقف عليها بالتاء مثل (رحمت)، وفي مواضع أخرى (رحمة) وفي مواضع (امرأة)، وفي مواضع أخرى (امرأت) ، والمواضع الموصولة في الرسم لا يجوز فيها فصل الكلمتين بأن يوقف على الأولى.

فلو خالفنا الرسم أدى إلى أن يوقف على ما لا يجوز الوقف عليه، أو يوقف بالهاء على ما يجب الوقف عليه بالتاء، ويؤدي إلى الإخلال بالقراءات القرآنية، ثم إن قواعد الإملاء الحديث تتغير وتطورت عبر العصور، وطرأت عليها تعديلات عديدة، فإذا انفتح المجال للتعديل في رسم المصحف وفق قواعد الإملاء فإن هذا سيؤدي إلى اللحن والخطأ في كتاب الله تعالى، وأن يوجد مصحف لا يدرى على أي مذهب في الإملاء يقرأ ، فيجب التقيد عند رسم المصاحف بأن ترسم كما رسمها الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم

والقراءات العشر المتواترة هي قراءات الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف رحمهم الله تعالى ، وما عداها فيقال عنه القراءات الشاذة، وأصح القراءات الشاذة

وأشهرها والذي ما زال يروى إلى وقتنا هذا بالأسانيد المتصلة ويقرأ به في مجالس التعلم قراءة ابن محيصن وقراءة يحيي اليزيدي، وقراءة الحسن البصري، وقراءة الأعمش رحمهم الله تعالى.

سُوَرُ القُرآنِ وآياتُهُ

القرآن الكريم مقسم إلى سور وهذه مزية للقرآن الكريم لأنه لو كان مسرودا سردا من أوله إلى آخره بدون تقسيمه إلى سور لكان ذلك شاقا فيصعب حفظه،

وفي تسوير القرآن الكريم حكم منها أن كل سورة بمجردها معجزة فيحصل التحدي بكل سورة على حدة، وأن كل سورة نمط مستقل، فلا يناسب أن يخلط بعضها ببعض بدون فصل بينها، وأن الله سبحانه وتعالى جعل كتابه ينقسم إلى سور طوال وإلى سور متوسطة الطول وإلى سور قصيرة ليظهر أن الطول ليس شرطا في الإعجاز؛ فالله تعالى تحدى الخلق أن يأتوا بسورة ولو كأقصر سورة من سور القرآن الكريم التي هي سورة الكوثر، فسورة الكوثر هي معجزة كسورة البقرة ، ومنها أن الله سبحانه وتعالى جعل سورا طوالا وسورا قصارا حتى يحصل التدرج في تعليم الطفل والأمي والأعجمي ومن يشق عليهم حفظ السور الطوال ، وأن الكتاب إذا كان منقسما إلى أنواع وأصناف كان أحسن من أن يكون بابا واحدا، وأن القارئ إذا ختم سورة ثم أخذ في سورة أخرى كان أنشط له

وأبعث على التحصيل وللتيسير على المسلمين في القراءة في الصلوات ، والسورة لغةً قيل أصلها سؤرة بالهمز ثم خففت من السؤر وهو ما بقي من الشراب في الإناء، فالسورة جزء من القرآن الكريم وقطعة منه.
وقيل: السورة مأخوذة من سورة البناء أي القطعة منه وقيل: مأخوذة من سور المدينة لإحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت في السور، وسمي السوار سوارا لأنه يحيط بالمعصم، وقيل: لارتفاعها لأنها كلام الله تعالى، والسورة اصطلاحا: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة وعدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة.
وتنقسم إلى الطوال والمئين والمثاني والمفصل، وهذا التقسيم مأخوذ من حديث رواه الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيل الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)).
والسبع الطوال قيل هي البقرة، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، وقيل سورة التوبة مع الأنفال بمثابة سورة واحدة ولذلك ليس بينهما بسملة، فتكون هي سابعة السبع الطوال، وبعضهم يعد التوبة فقط ولا يعد الأنفال، ولا يونس.

وأما المِئين، يقال: المئين أو المئون فهي ما ولي السبع الطوال وسميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب مائة آية، وسميت المئين من المائة.

والمثاني هي ما ولي المئين لأنها ثنتها يعني كانت بعدها، فهي لها ثوان، فالثاني هو ما يأتي تابعا لشيء قبله، فالمثاني سميت بذلك لأنها تأتي بعد المئين، وهي السور التي تكون أقل من مائة آية، وفي نفس الوقت ليست من قصار السور، فهي بين ذلك من ناحية المقدار.

والمفصل هو ما ولي المثاني، وهو الحزب الأخير من أحزاب القرآن الكريم، وقد سمي بذلك لكثرة الفصل فيه بين السور بالبسملة، والتحزيب المشهور عند الصحابة هو تقسيم القرآن إلى سبعة أحزاب يرمز لأول كل حزب منها بحرف في قولهم (فمي بشوق)

ترتيب القرآن الكريم:

أما ترتيب السور فقيل: توقيفي رتبها الصحابة رضي الله عنهم على ترتيب العرضة الأخيرة التي حضرها زيد بن ثابت وهو الذي تولى كتابة المصاحف، وكتبها مرتبة.، وقيل : اجتهادي من الصحابة رضي الله عنهم، واستدلوا على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاته أحيانا على غير ترتيب المصحف، وقيل: بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي، فالسور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتبها دائما ترتيبها توقيفي

والسور التي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرتبها، فتارة يقدمها وتارة يؤخرها، فهذه اجتهد الصحابة فيها.
أما ترتيب الآيات فتوقيفي إجماعا لأن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: اجعل آية كذا بعد آية كذا أو قبل آية كذا في سورة كذا، فيحدد له موضع الآية من السورة ، فلذا يجوز في الصلاة عند بعض الفقهاء تنكيس السور بأن يقرأ سورة قبل سورة مخالفا ترتيبها في المصحف، لكن لا يجوز إجماعا تنكيس الآيات.
عدد آيات القرآن الكريم :
قال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله: «أجمعوا على أن عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما يزيد على ذلك، فمنهم من لم يزد، فقال: ستة آلاف، ومنهم من قال: ستة آلاف ومائتا آية وأربع، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: ستة آلاف ومائتين وتسع عشرة آية، وقيل: ستة آلاف ومائتين وخمسا عشرين آية، وقيل: ستة آلاف ومائتين وستا وثلاثين آية».
فأما القول بأنها ستة آلاف فهو على سبيل التقريب لأن اختلاف القراء في عد الآي لا يصل إلى الاختلاف في مائتي آية ، وسبب الاختلاف في عد الآي هو تقسيم الآية الواحدة إلى آيتين أو دمج آيتين في آية ، وقد أخذ الصحابة رضي الله عنهم عد الآي من وقوف النبي صلى الله عليه وسلم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقف على رءوس الآي ، فربما سمع

بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم وقف وقفا فعده آية، وآخر سمع النبي صلى الله عليه وسلم وصل هذا الموضع فلم يعده، ومن السور ما حدد النبي صلى الله عليه وسلم عدد آياتها كسورة الملك قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ((سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ {تبارك الذي بيده الملك})) فعدد آياتها ثلاثون على ظاهر الحديث وعدها بعضهم إحدى وثلاثين وفسروا الحديث بأنه على سبيل التقريب إلى أقرب ألفاظ العقود.

وكذلك سورة الفاتحة قال تعالى ((ولقد آتيناك سبعا من المثاني)) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي)) فاختلفوا في البسملة: هل هي آية من الفاتحة أم لا، فالذي عدها آية قال: هي سبع آيات بالبسملة، فجعلوا {صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} آية واحدة

والفريق الآخر قال: البسملة ليست آية من الفاتحة، فيقسم هذه الآية الأخيرة إلى آيتين فيقول: {صراط الذين أنعمت عليهم} رأس آية، ثم {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} آية أخرى مستقلة، وليس هناك آية كاملة مختلف في قرآنيتها سوى البسملة وما عدا ذلك من الخلاف في عد الآي فيرجع إلى تقسيم آية طويلة إلى آيتين أو دمج آيتين في آية واحدة.

وعد الآي علم جليل من علوم القرآن من فوائده أن من لم يحفظ الفاتحة وجب عليه أن يقرأ سبع آيات من سواها، فلزم أن يعرف ما هو آية كاملة ، وكذلك في خطبة الجمعة يجب على الخطيب قراءة آية كاملة، فربما قرأ جزءا من آية يحسبه آية كاملة ، وكذلك في الصلاة، لا يصح أن تقسم الآية الواحدة على ركعتين أو أن يركع المصلي قبل ختم الآية .

أسماء السور

بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي، فبعض السور سماها النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها اجتهادي، وقد يكون للسورة الواحدة أكثر من اسم ، وقد يكون للسورة الواحدة أسماء توقيفية، وأخرى اجتهادية سماها بها الصحابة رضي الله عنهم.

فمن التوقيفي البقرة وآل عمران قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الْبَقَرَةُ وَآل عِمْرَانَ تَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

الْمُحكَمُ وَالْمُتَشابِهُ

قال تعالى: {كتاب أحكمت آياته} الإحكام هنا هو الإتقان وعدم النقص ، وعدم الشك في صحته ، وقال سبحانه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا} أي يشبه بعضه بعضا في كونه كله حقا وصدقا، وفي كونه من عند الله سبحانه وتعالى، وفي سورة آل عمران وصف الله تعالى القرآن بأنه بعضه محكم وبعضه متشابه: {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} فالمحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدا والمتشابه هو ما يحتمل أكثر من معنى، وقيل: المحكم ما عرف المراد منه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، وقيل: المحكم ما وضح معناه والمتشابه ما لم يتضح معناه، وزعم أهل البدع أن آيات الصفات متشابهة ولا نفهم معناها، مثلها كمثل {المص} و{كهيعص} لا نفهم منها شيئا وهي مما استأثر الله تعالى بعلم معناها والصواب أن آيات الصفات آيات مفهومة المعنى، وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يفهمون معاني آيات الصفات، ويفسرونها ففسروا {الرحمن على العرش استوى} فقالوا: علا وصعد واستقر وارتفع، ولا يعقل أن تكون آيات الصفات متشابهة، وهي أعظم آي القرآن الكريم، فأعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي، وكلها صفات الله سبحانه وتعالى، وأعظم سورة في القرآن الكريم سورة الإخلاص وكلها صفات الله تعالى، فطريقة السلف هي تفويض الكيفية.

إعْجازُ القُرآنِ

القرآن الكريم كان معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمى الله عز وجل خوارق العادات التي أجراها لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم الآيات، فالقرآن الكريم كان آية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو معجزة له ، والمعجزة قيل في تعريفها : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى الخلق أن يأتوا بمثل

هذا القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} وقال {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِين} وتحداهم الله تعالى أن يأتوا بعشر سور منه فقال سبحانه: {قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين} وتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة واحدة فقال: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} وقال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين} قال السيوطي رحمه الله: «لم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر وتارة قالوا: شعر وتارة قالوا: أساطير الأولين، وكل ذلك من التحير والانقطاع، فعجز المشركون أن يأتوا بمثله رغم أنهم كانوا أرباب الفصاحة والبيان وبلغوا في فنون القول من شعر وخطابة وغير ذلك مبلغا عظيما ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم».

وقد ذهب النَّظَّام المعتزلي إلى أن إعجاز القرآن الكريم هو بالصرفة أي أن الله تعالى صرف الناس عن أن يأتوا بمثله، وصرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمرٌ خارجي ، وقد رد أهل

السنة كلامه وقالوا: القرآن الكريم معجز في ذاته لا يستطاع أن يؤتى بمثله،

ومن إعجاز القرآن الكريم إخباره عما تضمره النفوس من غير أن تتكلم به كقوله تعالى: {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ} ، وقوله سبحانه: {وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}.

ومن إعجازه الإخبار بالمغيبات كقوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون فِي بِضْعِ سِنِينَ} ووقع مثل ما أخبر الله تعالى بعد سبع سنين من نزول الآية الكريمة، وقوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ} فوقع مثل ما أخبر الله سبحانه وتعالى.

ومن أعظم وجوه إعجازه فصاحته وبلاغته وجمال أسلوبه بما أعجز بلغاء العرب عن أن يأتوا بمثله، فكل معنى عبر عنه القرآن الكريم فالتعبير القرآني الكريم هو أفضل وأكمل أسلوب يمكن أن يعبر به عن هذا المعنى، فلو حاول إنسان أن يستبدل لفظا من ألفاظ القرآن الكريم بلفظ آخر فلا يمكن أن يكون في حسن اللفظ القرآني ولا مؤديا المعنى بكماله كما يؤديه اللفظ القرآني، أو حاول أن يقدم أو يؤخر أو يحذف أو يضيف فلن يستطيع أن يوصل المعنى بأجمل ولا أبين مما في القرآن الكريم.

وأما الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بمعنى مطابقة ما في القرآن الكريم للحقائق العلمية التي تم اكتشافها والتعرف عليها في العصر الحديث مثل ما أفاده قول الله سبحانه وتعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} فادت أن من صعد إلى السماء فإن صدره يضيق، واكتشف الآن أنه عند الصعود إلى طبقات عليا يقل الأكسجين ويضيق الصدر بسبب ذلك، فيشترط لذلك ضوابط منها أن تكون هذه الحقيقة العلمية حقيقة ثابتة بحس ومشاهدة وليست نظرية يمكن أن يظهر خطؤها فيما بعد، فلا يجوز أن تفسر آيات القرآن الكريم بما يوافق نظرية غير مقطوع بصحتها.

، ويشترط أن يذكر ذلك على سبيل الظن فيقول لعل الآية الكريمة فيها إشارة إلى هذا المعنى، ويشترط أيضا أن يكون اللفظ لغة صالحا للدلالة على هذا المعنى ، ويشترط أن يسلم هذا التفسير من المعارضات، فلا يكون معارضا لنص آخر من نصوص الكتاب والسنة.

وكذلك يشترط أيضا عدم إبطال المعنى الأصلي للآية الكريمة الذي فسرها به النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام .

والصواب أنه ليس من الإعجاز ما أحدثه بعض الناس وأسموه الإعجاز العددي وتلاعبوا فيه بكيفية العد للحروف والكلمات فيعدونها بكيفية لإثبات أمر في موضع وبكيفية مغايرة في موضع آخر ، ولأنه لا

يعجز مبطل عن استخراج أعداد من حروف القرآن وكلماته توافق عدد حروف عبارات شركية أو محرمة

أمثال القرآن الكريم:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون} وقال سبحانه: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون} وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ)).

والاعتبار هو الاتعاظ بها والقياس على مثالها فيلحق بها ما يشابهها ويعطيه حكمها، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا وحثا على فعل الخير وزجرا عن فعل الشر، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص فتكون أثبت في الذهن، وتنقسم أمثال القرآن إلى ثلاثة أقسام: الظاهر والكامن والمرسل.

فالظاهر هو الذي فيه تصريح بلفظ المثل ومنه قول الله سبحانه وتعالى: {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا}

وأما الأمثال الكامنة فهي التي ليس فيها تصريح بلفظ المثل ولكنها كانت أمثالا تضرب في الجاهلية قبل نزول القرآن الكريم، فجاء القرآن الكريم بعبارات أبلغ وأحسن تؤدي معنى تلك الأمثال

فعن إبراهيم بن مضاربٍ قال: «سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله خير الأمور أوساطها؟ فقال الحسين: نعم في أربعة مواضع {لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك} وقوله تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} وقوله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط} وقوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا}.

قال: قلت: فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئا عاداه؟ قال: نعم في موضعين: {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه} وقوله تعالى: {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم}.

قال: فهل تجد في كتاب الله: احذر شر من أحسنت إليه؟ فقال: نعم قال تعالى: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله} قال: فهل تجد في كتاب الله ليس الخبر كالعيان؟ قال: في قوله تعالى: {أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} قال: فهل تجد في الحركات بركات؟ قال: في قوله تعالى: {ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة} قال:

فهل تجد كما تدين تدان؟ قال: في قوله تعالى: {من يعمل سوءا يجز به}».
وذكر أمثالا أخرى كامنة نقلها الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الإتقان.
وأما الأمثال المرسلة فهي جمل ليس فيها لفظ المثل ولا لفظ التشبيه، ولا يكمن فيها مثل من الأمثال التي كان يستعملها الناس، ولكنها جمل وجيزة تصلح أن يمثل بها ويضرب بها المثل في الحوادث، مثل قوله تعالى: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان} وقوله عز وجل: {أليس الصبح بقريب} فهذه جملة قرآنية وردت في سياق قصة لوط عليه السلام، وإهلاك قومه وصارت تستعمل مثلا لمن استبطأ خيرا أو نجاة

أقسام القرآن الكريم:

الأقسام جمع قسم، وهو الحلف أو اليمين ، أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه في سبعة مواضع وهي قوله تعالى: {قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَق} وقوله: {قل بلى وربي لتبعثن} وقوله: {فوربك لنحشرنهم والشياطين} وقوله: {فوربك لنسألنهم أجمعين} وقوله: {فلا وربك لا يؤمنون} وقوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب} وقوله تعالى: {فورب السماء والأرض إنه لحق} فهذه سبعة مواضع أقسم الله سبحانه وتعالى فيها بنفسه.

وباقي الأقسام القرآنية يقسم الله سبحانه وتعالى فيها بمخلوقاته كقوله تعالى: {والصافات صفا}، {والشمس وضحاها}، {والليل إذا يغشى}، {والضحى والليل إذا سجى}.

ومن أغراض القسم بهذا المخلوق في كتاب الله سبحانه وتعالى التنبيه إلى شرفه ولفت النظر إلى أنه آية من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وحكمته ووحدانيته.

ومن العلماء من قال: إن هذه الأقسام بالمخلوقات هي على حذف مضاف فقوله تعالى : {والتين والزيتون} أي ورب التين والزيتون

وفائدة القسم تحقيق الخبر وتوكيده والحروف التي يؤتى بها للقسم ثلاثة، وهي الواو والتاء والباء، وورد في القرآن الكريم من هذه الحروف الواو كثيرا كما في قوله تعالى: {والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها} ، والتاء وردت في {تالله} وأما الباء فوردت في قوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون}.

و يجوز استعمال الواو والباء والتاء مع لفظ الجلالة ومع لفظ رب، والواو هي أكثر الحروف شيوعا وتستعمل في كل مقسم به ، وأحيانا يصرح بالقسم وأحيانا يضمر و القسم المضمر هو الذي حذف فيه فعل القسم والمقسم به وأتي بلام داخلة على جواب القسم تدل على قسم، مثل قوله تعالى:

{لتبلون في أموالكم وأنفسكم} وقوله تعالى: {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون} هذه اللام ليست حرف قسم، وإنما ابتدائية لتوكيد الكلام .

تعريف التفسير

التفسير لغة هو تفعيل من الفسر والفسر هو البيان والكشف، وقيل: التفسير والتأويل لغة بمعنى واحد، وقيل: التفسير أعم من التأويل فالتفسير يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل في الجمل والمعاني، وقد احتيج إلى التفسير لأن القرآن الكريم منه أشياء تعلمها العرب من لغتها، ومنها أشياء لا يكفي فيها اللسان العربي بل تحتاج إلى معرفة المعنى الشرعي الذي أراده الله سبحانه وتعالى؛ ولأن القرآن الكريم نقل ألفاظا عن الاستعمال الذي كان العرب يستعملونه، واحتيج إلى بيان المعنى الشرعي ولأن الناس دخل في لسانهم عجمة، فغاب عنهم كثير من معاني الكلمات العربية.

حكم تفسير القرآن الكريم وفضله وشرفه

قال الله تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا}. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه». ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما فقال: ((اللَّهُمَّ فَقِّههُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)) أي تفسير القرآن الكريم، فلولا أن

تفسير القرآن الكريم شرف وفضل، لما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمر بالآية في كتاب الله فأقول: لو أن كل المسلمين يعلمون منها ما أعلم». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه».

فكان الصحابة رضي الله عنهم يعتنون بتفسير القرآن الكريم، ويتنافسون في تعلم هذا العلم الجليل، وأجمع العلماء على أن تفسير القرآن الكريم من فروض الكفايات ومن أجل العلوم الشرعية، لأن شرف العلم إما بشرف موضوعه وإما بشرف غرضه وإما بشدة الحاجة إليه والتفسير تجتمع فيه هذه الأمور الثلاثة فحاز الشرف من جميع جوانبه.

وموضوع التفسير هو القرآن الكريم فهو أشرف شيء، والغرض من تفسير القرآن الكريم هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة والفلاح، وهذا أعظم الأغراض ، وتفسير القرآن الكريم تشتد حاجة الناس إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلم بكتاب الله تعالى، وكل العلوم الإسلامية متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى فهو أصل العلوم الإسلامية ومنبعها

وتفسير القرآن الكريم اصطلاحا هو: (القواعد التي يعتمد عليها في كشف معاني القرآن الكريم والتبيين عنها من أجل أن يصحح المعنى)

أقسام التفسير

ينقسم التفسير إلى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي ، فالتفسير بالمأثور هو الأصل في التفسير بشرط أن يكون النقل ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان تفسيرا نبويا أو عن الصحابي أو التابعي إذا كان تفسيرا عن الصحابي أو التابعي.

و أنواع التفسير بالمأثور ثلاثة: أولها تفسير القرآن بالقرآن، فقد تجمل الآية أو تختصر القصة في موضع وتفصل وتبسط في موضع آخر، وهناك نوع آخر يدخل في تفسير القرآن بالقرآن وهو تتبع استعمالات اللفظة الواحدة في المواضع المتعددة من كتاب الله تعالى، ونفسر اللفظة في موضع، بما استعملت به اللفظة في موضع آخر، والصواب أن تتبع استعمالات اللفظة الواحدة في المواضع المتعددة من كتاب الله ليس من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو مقدم على تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ليس بالضرورة أن اللفظة تستعمل في كل القرآن الكريم بنفس المعنى، فقد استعملت ألفاظ كثيرة في القرآن الكريم بمعان متعددة ، وهو علم وجوه القرآن ونظائره ويقال له أيضا علم مشتركات القرآن وقيل إذا كانت اللفظة في كل مواضعها في القرآن بنفس المعنى فهي النظائر ، وإذا تعددت معانيها فهي الوجوه مثل لفظ الأمة ، وإذا كانت في كل المواضع بمعنى إلا في موضعا واحدا بمعنى آخر فهي الأفراد مثل البروج في كل المواضع بمعنى

الكواكب عدا موضع سورة النساء ((ولو كنتم في بروج مشيدة)) فهي القصور الحصينة ، روى ابن عساكر وابن سعد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إنك لن تفْقَه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً».

والنوع الثاني من التفسير بالمأثور هو تفسيره بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

والنوع الثالث من التفسير بالمأثور بآثار الصحابة ، فإذا لم يجده في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم وذلك أنهم أدرى الناس بتفسير القرآن الكريم لما شاهدوا من القرائن والأحوال عند نزوله فهم يعلمون أسباب نزول القرآن الكريم، وعايشوها وسمعوا تفسير القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم، ولما اختصهم الله تعالى به من الفهم ولأن الله رضي عنهم وأثنى عليهم، ففهمهم للقرآن أصح فهم ولأنهم أهل اللغة العربية قبل طروء اللحن والعجمة، فتفسيرهم للقرآن الكريم من جهة اللغة فهم أعلم الناس بلغة العرب، وأعلم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس بأسباب نزول القرآن وترتيبه وناسخه ومنسوخه، فيرجع إليهم في تفسير القرآن الكريم، فهذه الأنواع هي التفسير بالمأثور.

وأما التفسير بالرأي فإنه ينقسم إلى قسمين تفسير بالرأي المحمود وتفسير بالرأي المذموم، فالمحمود هو الذي يكون إعمالا للاجتهاد في فهم مراد

الله تعالى من أجل التوفيق بين الآيات الكريمة المختلفة، وبين الآيات وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والرأي المذموم هو معارضة القرآن الكريم بالرأي وإخراج الآية عن سياقها، وتفسير الآية بمعنى تصبح به معارضة للآيات الأخرى، ومعارضة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد وردت نصوص فيها الوعيد لمن قال في القرآن برأيه، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ)) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، والمراد به الرأي الذي لا دليل عليه فلا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير الاعتماد على الأدلة والنصوص، لكن إذا استعمل رأيه في محاولة الوصول إلى مراد الله تعالى بما يوافق النصوص والأدلة فهذا يكون محمودا

شُروطُ الْمُفَسِّرِ

الشروط الواجب توافرها في المفسر : منها أن يكون صحيح العقيدة ، وألا يكون له هوى يحمله على تفسير الآية بما يوافق هواه بل يكون غرضه من التفسير الوصول إلى الحق، وإلى مراد الله سبحانه وتعالى.

و يشترط في المفسر أن يكون عالما بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم للآيات التي فسرها، وتفسير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين للقرآن الكريم

وأن يكون عالما بالنحو وباللغة العربية لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين فلا بد أن يكون عالما بالنحو و الصرف و البلاغة ، ومعاني المفردات العربية ،

عالما بمعاني الأدوات مثل الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، وأسماء الاستفهام ونحو ذلك مما يكثر استعماله في القرآن الكريم كالعلم بـ (ما) متى تكون استفهامية، ومتى تكون شرطية، ومتى تكون نافية لأن كل استعمال من هذه الاستعمالات يُحَوِّل معنى الآية إلى معنى آخرولا بد للمفسر أن يكون مخلصا لله تعالى وأن يكون عاملا بالقرآن الكريم، وأن يكون متحليا بحسن الخلق، راغبا في هداية الناس ونفعهم

أَسبابُ الاختِلافِ في التَّفسيرِ

من أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات القرآن الكريم اختلاف القراءات القرآنية، فكل يفسر الآية على حسب القراءة التي عنده مما يؤدي إلى اختلاف التفسير، يعني مثلا في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرؤها: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) فيطيقونه أي يقدرون عليه، ويطوقونه يعني يتجشمونه ويشق عليهم، مثل الطوق في عنق الإنسان، فالذين أخذوا بالقراءة المشهورة {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} قالوا: هذه الآية منسوخة، كانت رخصة في أول الأمر للقادرين على الصيام خيّرهم

الله بين أن يصوموا وبين أن يفطروا، ويطعموا عن كل يوم مسكينا ثم نسخ الله تعالى هذا بالآية التي بعدها.و قال ابن عباس: «إنها ليست بمنسوخة هي في الشيخ الكبير والمرأة العجوز والحامل والمرضع، يفطرون ويطعمون عن كل يوم مسكينا» لأنه في قراءته (يُطَوَّقُونَهُ) والقراءات القرآنية الكريمة لا تتعارض وإنما الخلاف بينها خلاف تنوع، فتصبح الآية دالة على أكثر من معنى، فكل قراءة كأنها آية مستقلة، هذه تفيد معنى وهذه تفيد معنى وليس بين المعنيين تعارض.

ومن أسباب الاختلاف في التفسير اختلافهم في أوجه الإعراب، فيؤدي إلى اختلاف تفسير الآية تبعا لاختلاف أوجه الإعراب، ومن أسباب اختلاف المفسرين أن اللفظ أحيانا يكون محتملا أكثر من معنى، فكل واحد من المفسرين يفسره بأحد المعاني التي يحتملها.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من أصول التفسير أن تفسير الصحابة رضي الله عنهم هو من باب تنوع العبارات وكلها معان حقة ، فأحيانا يكونون جميعا يقصدون معنى واحدا ولكن تنوعت تعبيراتهم عنه، وأحيانا يقصدون معاني مختلفة لكنها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فتكون المعاني كلها صحيحة، وكلها مرادة، فأحيانا اللفظ يحتمل أكثر من معنى وكل منهم يفهمه بمعنى ويفسر الآية بناء عليه.

أَسَاليبُ التَّفسيرِ

للتفسير أساليب وطرق منها التفسير التحليلي، وهو الذي يتتبع فيه المفسر الآيات الكريمة حسب ترتيبها في المصحف، ويبين ما يتعلق بكل آية، من معاني ألفاظها وما دلت عليه من الأحكام، فيشرح معاني الألفاظ، والمعنى الإجمالي للآية، وما يستفاد منها من الفوائد، فهذا يسمى التفسير التحليلي، وأكثر تفاسير المتقدمين هي تفاسير تحليلية كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، ونحوها ثم إن المفسر إذا كان من الفقهاء فإنه يغلب على تفسيره العناية ببيان دلالة الآيات على الأحكام الفقهية مثل تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن الكريم) وإذا كان المفسر من النحاة فإنه يغلب على تفسيره العناية بإعراب القرآن كالإمام أبي حيان وتفسيره (البحر المحيط) ومن غلب عليه العناية بالبلاغة ظهر أثر ذلك في تفسيره كالزمخشري المعتزلي في تفسيره (الكشاف)

ومن أساليب التفسير التفسير الإجمالي وهو شرح معاني القرآن الكريم إجمالا، كطريقة العلامة السعدي في تفسيره المسمى بـ (تيسير الكريم المنان) فأصحاب التفسير الإجمالي للقرآن الكريم أحيانا يتناولون عدة آيات وأحيانا كل آية على حدة ثم يذكرون المعنى الإجمالي لهذه الآيات، من غير تدقيق في معاني كل لفظة على حدة ، ومن الأساليب الحديثة في التفسير التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وهو جمع الآيات التي تتكلم عن موضوع واحد، وتناولها في مكان واحد مثل جمع آيات الصلاة في القرآن

الكريم، أو آيات الحجاب أو الآيات التي تناولت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم ثم تفسيرها مجتمعة في مؤلف واحد. وبالله تعالى التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .